فريداً في تطوير الفكر الغربي. ويبدو سقراط عادةً ناطقاً بأفكار أفلاطون الخاصة في أحاديثه شبه الخيالية التي تتجمّع في كتابيْه «الجمهورية» و«القوانين». ولعلّ من الصعوبة البت بدقّة في مسألة التوافق بين هذه الأفكار تفصيلاً وبين تعليمات سقراط، إذ ليس من المعلوم متى كتب أفلاطون على وجه الدقّة هذه الأحاديث المعروفة بكتاب (كراتيليس) خلال مسيرته الفكرية.

ولن يتّضح سبب اهتمام كراتيليس وهيرموجينيز بصحّة الأسماء حتى تتكشّف المناظرة بين الطرفين. ولأجل فهم ما يدور في هذه المناظرة لا بدّ من تأمّل نقطتين: أولاهما التورية الإغريقية وثانيهما أجزاء الكلام في اللغة الإغريقية.

(1) تختلف الحضارات في موقفها من التورية. ولعلّ ولع الإغريق القدماء بالتورية يوحي إلى القارئ المتشرّب بأصول الثقافة الغربية المعاصرة بأن هذه التورية إما شرقية أو صبيانية إذ أصبحت السخرية من أسماء الناس الآن ضرباً من السذاجة (رغم أنه لم تمض أجيال عديدة على كتّاب من طراز ديكنز كانوا منهمكين في هذا النوع من السخرية). فمثلاً يعتبر الاستهزاء بشخص طويل القامة إذا صادف أن اسمه يدلّ على القصر أو السخرية من شخص مغفّل يدلّ اسمه على الذكاء، ضرباً من الابتذال في الذوق. بيد أن السخرية المتفشّية في مناظرات أفلاطون تنضوي تحت هذه الفئة.

إن الادّعاء بأن إطلاق هذا الاسم على هيرموجينيز ليس دقيقاً يرتكز على حقيقة أن هذا الاسم يعني في اللغة الإغريقية «مولود من هرمز» وهرمز هو إله التجارة والصيرفة الشفيع. وهكذا تبدو المفارقة، إذ إن المرء يتوقّع من الشخص الذي يُدعى بهذا الاسم (هيرموجينيز) أن ينعم بالثروات والأموال. بينما لا نجد مثل هذه الصفات لدى الشخص الذي يخاطبه (كراتيليس). وقد مُنح هيرموجينيز هذا الاسم خطأً ـ كما يرى كراتيليس ـ إذ إن تجارته خاسرة دائماً، لذا فهو ليس ابناً صحيحاً للإله هرمز.

تبدو التورية الواهنة في اسم هيرموجينيز نقطة بداية واهية لمناظرة جادّة

استمرّت في الأدبيات اللغوية في الغرب. ويقدّم كتاب «كراتيليس» مناظرة مستمدّة من الخيال بين سقراط ومحدّثيه في مسألة فلسفية ذات أهميّة خاصة للإغريق في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد وهي في ذلك تشبه جميع مناظرات أفلاطون.

يبدو سقراط ـ هذه المرّة ـ وهو يناقش صحّة الأسماء مع هيرموجينيز وكراتيليس. وكان هيرموجينيز من أتباع مدرسة الفيلسوف بارمينيدز[1]، بينما كان كراتيليس فيلسوفاً بدأ يشكّ في اللغة بشكل فاضح ـ حسب ما تذكره الأسطورة ـ لدرجة إنه استهجن الكلام برمّته وبدأ بالتفاهم مع محدّثيه بالإيماءات فقط.

ولد أفلاطون (427 ـ 347 ق.م) وترعرع خلال حرب بيلوبينز التي استمرّت ثلاثين عاماً تغلّبت فيها إسبارطة على أثينا. ووضعت الديمقراطية في أثينا على المحك كونها صيغة فعّالة من صيغ الحكم. وقد أثّرت تلك الأوضاع السياسية في حياة أفلاطون وأعماله من نواح ثلاث: (1) إن تلك الأوضاع السياسية أدّت إلى وفاة معلّمه الجليل سقراط حيث حكم عليه الحكام الديمقراطيّون الذين كانوا في السلطة آنذاك بالموت سنة 399 قبل الميلاد بسبب آرائه الهدّامة. (2) أنها سبّبت نفي أفلاطون عن أثينا الذي دام اثنتي عشرة سنةً حيث عاد إلى أثينا سنة 387 قبل الميلاد. (3) أنها شجعت أفلاطون على رفض الديمقراطية والبحث المتأنّي عن صيغة أفضل للحكم وللسلوك الفردي. وعندما عاد أفلاطون إلى أثينا قام بتأسيس مدرسته «الأكاديمية» والتدريس فيها لما تبقّى من حياته. ويتمتّع أفلاطون بفضائل ثلاث جديرة بانتباه المؤرخين فهو أوّل فيلسوف بقيت جميع كتاباته خالدة وهو مصدر المعلومات الأوحد عن معتقدات سقراط ووسائله وهو معلّم